الباب التاسع

في آفة الرياسة، وشدة الحراسة

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾[1].

وقال النبيّ ﷺ: «كفى بالمرءِ المسلمِ، أن يُشار إليه بالأصابِعِ إلا مَنْ عَصَمَه الله في دينه، ودنياه».

وقال قتادَة: لولا حبُّ الرياسة لمشى الناس على الماء، قال المسيح عليه السلام: «إذا اتخذكم الناسُ رؤوساً فكونوا أذناباً».

وقال أبو الأحوص: «الجنةُ محفوفةٌ بطلبِ الخمولِ، والنارُ مفروشةٌ بطلبِ الرياسة».

وقال الثوريُّ: «من طلبَ الرياسَة في العلمِ فإنه علم كثير، قال: وكان عمرُ بن عبد العزيز لا يخرجُ من منزله إلا وقتَ الصلاةِ، وكان لا يتطوعُ في مجلسهِ، فسئلَ عن تركه ذلك؟ قال: أكره أن أنظرَ إلى مَنْ ينتظرني لحاجة، فيدخلني فيه حبُّ الرياسة.

وقال أبو حنيفة ﷺ: «من طلب الرياسة في غيرِ حينه لم يزلْ في ذلٍّ ما بقي».

وقال الفضيل بن عياض: «لا يحبُّ الرياسةَ أحدٌ إلا طلبَ عيوبَ الناسِ، وذكر مساوئَهم، وكره أن يذكروا عنده بخير».

---

(1) العلق: الآيتان (6 - 7).

وقال يحيى بن معاذ: «من طلبَ الرياسةَ في الفتنةِ وقعَ في الحفرة».

وقال أيضاً: «حب الرياسةِ سيفُ إبليس في بني آدم، قطعَ به العبودية، إذا ضربَها، ومَنْ وضعَ تاجَ الرياسةِ على رأسهِ خُذِلَ مع المخذولين، وحبُّ الرياسةِ غصنٌ الربوبيةِ من تعلَّقَ به هَلَكَ مع الهالكين، وحبُّ الرياسةِ مَيْدانٌ في بني آدم، ينزل فيه جنودهُ، ومن شرِبَ بكأسِ حبِّ الرياسةِ فقد خرجَ من إخلاصِ العبادةِ، وحبُّ الرياسةِ نارٌ في نفسِ بني آدمَ، إذا توقَّد في قلوبِهم أحرقتْ صفاؤه سرائرَهُم، وحبُّ الرياسة في الزُّهاد يأكلُ زهدَهم، وفي العلماءِ يأكلُ عِلْمَهم، وفي العُبَّادِ يأكل عبادتهم».

وقال شقيق:[1] الفتنةُ عند الناسِ ضَرْبُ السيوف، وإنما السيوفُ تَهيجُ في الفتنة، فمن كان فيه ثلاثٌ فهو رأس كل فتنة، ومن لم يكن فيه عُصِم من كلِّ فتنةٍ الطمعِ والإعجابِ وحبُّ الرياسةِ.

وقال عكرمة: «حبُّ ثناءِ الناس يُعْمي ويُصِم، ويَذَرُ الديَّارَ بَلاقِعَ، قالَ: ومكتوبٌ في الحكمة: «أربعةٌ أُكِنَّتْ في أربعةٍ: السلامةُ في السكوتِ، والعاقبةُ في تركِ الرياسةِ، والشرفُ في التقوى، والمحبةُ في تركِ الفضولِ».

وقال أبو يحيى الورَّاق: ما الوقوعُ في البلية إلا من دوام العافيةِ، ولو كان بِفِرْعَوْنَ جُوعُ ثلاثةٍ، أو حُمَّى ليلةٍ، أو شَقِيقةُ ساعةٍ، لم يَقُلْ: «أنا ربُّكمُ الأعلى».

وقال يحيى بن معاذ: مَنْ شَمَّ الرياسةَ يَتْرُكُ الرأسَ ولا يترك الرياسة، ومن ابتلي في الرياسةِ وقع في الدِّياسة.

(1) يعني: البلخي، الصوفي المشهور.

وقال ابن عيينة: من طلبَ الرياسةَ فاتته، ومن لم يطلبها أتته.

وقال أبو الحسن المدائني: كانَ يُقالُ من طلبَ الرياسةَ صبرَ على مضضِ السياسةِ.

الحكاية

قال كعب: تَنَسَّكَ ابنُ ملكٍ في العصر الأول، فلما مات الملكُ انعطفت إليه الرعية، وقالوا له: مات ملكُنا، ولا بدَّ لك من أن تَلينا.

قال: يا قوم؛ قد صحَّ عندي أن الموتَ كلَّ حينٍ أقربُ إلي، إنْ أنتم عزلتم عني الموتَ، وباعدتم عني زوالَ العزِّ، وليتكم، وإلا فاذهبوا عني، فإني لا أهوى مُلكاً يزول، ولا نعيماً يَبِيدُ، ولا حياة يَعْقُبُها الموت.

وقال الشاعر:

ولم أرَ هالكاً في الناس إلا

وبابُ هلاكِه طلبُ الرياسة